أيلول

تلك الفتاة الفاضلة

أيلول

تلك الفتاة الفاضلة

اسم الكاتب: مروة مصطفى
تدقيق لغوي: سمية عبد المنعم
تصميم الغلاف: محمود عبد الناصر
الإخراج الفني: محمود شوقي
الطبعة: الأولى
رقم الإيداع: 2022/20835
الترقيم الدولي: 978-977-86301-5-2

محفوظة جميع الحقوق

أيلول

تلك الفتاة الفاضلة

رواية نفسية

مروة مصطفى

تحذير

القصة ذات محتوى نفسي قد يؤثر على البعض

مروة مصطفى

مقدمة

عقدة إلكترا هي انجذاب الفتاة لوالدها والرغبة بامتلاكه، إضافة للشعور بالعدائية تجاه والدتها، بحيث تنظر إليها على أنها منافسة على حب والدها.

عقدة إلكترا هي مصطلح أطلقه يونج عام 1913 لوصف النسخة الأنثوية من عقدة أوديب (Oedipuscomplex) التي أطلقها سيغموند فرويد، وهي مصطلح تحليلي نفسي يُستخدم لوصف التعلق اللاوعي للفتاة بوالدها، والتنافس مع والدتها على مشاعر أبيها.

واستوحى هذا المصطلح من أسطورة إليكترا اليونانية، وهو يقابل عقدة أوديب لدى الذكر.

إهداء

إلى كل الأشخاص وكل الأشياء الجميلة التي فقدتها، إلى كل الحماقات التي ارتكبتها، إلى كل الأخطاء التي فعلتها عن قصدٍ ودون قصدٍ.

إلى كل الفرص التي أضعتها.. أود أن أقول إنني لست آسفة على شيء.

أيلول تلك الفتاة البالغة من العمر ٢٢ عامًا، ذات عينين عميقتين، وشعر غزير، مقاس قدمها كمقاس سندريلا، خفيفة في حركتها كالغزال، جسدها طفولي وكذلك تقاطيع ملامحها المتناسقة، تبدو أصغر سنًا من عمرها الحقيقي وبذلك تستطيع خداع الآخرين بسهولة ببراءتها الكاذبة!

أيلول تلك الفتاة البسيطة المعقدة، ذات النظرة التحليلية للأمور، فتاة متناقضة، مزاجية متقلبة، لا تثق برأيها صباحًا، لأنها ستغيره ليلاً، لا تفرح بحبها لك شتاءً، لأنَّه سيتبخر في الصيف!

إن كنت تظن أنك قد ملكتها في الربيع، سوف تتفاجأ باختفائها في الخريف.

تلك الفتاة الفاضلة من مواليد سبتمبر المُسماة "أيلول".

****

أيلول

(عقدة إلكترا)

"إنَّ جميع الأمور الشريرة تبدأ من البراءة".

إرنست همنجواي

كانت أمي تريد تسميتي "إلكترا" لكونها مسيحية، ولكنها متزوجة من رجل صوفي وهو أبي، لذلك رفض الاسم، فولدتني أمي في سبتمبر، لذلك توصلوا لاسم لا يحمل أي ديانة منهما، فسُميت "أيلول".

هوايتي المفضلة قراءة روايات بوليسية وسيكولوچيا الجريمة، جمع أنتيكات الآثار المصرية، وتعذيب القطط عندما أشعر بالملل في وقت فراغي.

لا هذه ليست مزحة، نعم أستمتع بتعذيب القطط.

أما عن وجبتي المفضلة، فهي المعكرونة، ولا أطيق سماع كلمة "دجاج" أنا لا آكل اللحوم خاصةً الدجاج لا آكله، بل أخنقه حيًا حتى يموت! وهذه أيضًا ليست مزحة.

***

أحببت أبي جدًا، بل أكثر، وكرهت أمي، لأنَّه كان يحبها، بل يعشقها، كم تمنيت أن أحظى بهذا الحب منه، أحظى بتلك المعاملة المميزة، معاملة الزوج لزوجته التي يحبها، لم أكتفِ كوني ابنته، لم أكتفِ بحضنٍ واحدٍ، بقبلةٍ على الجبين، لم أكتفِ بذلك أبدًا وأردت المزيد منه، المزيد المحرم منه.

كم أكرهها -أقصد أمي- وأحسدها على أبي.

لذلك أقولها وبكل شجاعة، أنا من تسببتُ في موتها، أنا من أعطتها دواء خاطئ، كي يخلو لي وجه أبي وأحظى به لي وحدي، ولكنني لم أنعم بذلك، فلشدة حبه لها قد رحل بعدها. وهذا ما زادني غيظًا منها سواء كانت حية أو ميتة أخذته مني.

كم أكره أمي!

****

عادةً أذهب كل صباح قبل المعهد أو بعده للمكتبة الذي يعطيني صاحبها روايات أجاثا كريستي بلا مقابل -بلا مقابل مادي بالتحديد- لكن هناك مقابل آخر أن أستمع لثرثرته لمدة نصف ساعة، أو ساعة كاملة، يحكي لي عن مدى قسوة الحياة والمعيشة وزوجته الخانقة وبلا بلا بلا، وأثناء كلامه كان يبصق على الأرض ومن ثم يستكمل حديثه كأنَّ شيئًا مقززًا لم يكن، كأنه ابتلع ريقه، ولكن للخارج لا للداخل، ومن ثم يعطيني كتابًا إن شئت أعدته وإن شئت أبقيته، وفي الغالب أحتفظ به عندي، وبذلك كوَّنت مكتبتي الصغيرة.

صاحب المكتبة:

-وأنتِ يا قمر القمرات متى تستقرين وتتزوجين، على حد علمي أنتِ وحيدة الآن بعد وفاة والديكِ!

- أستقر، ماذا تقصد بالاستقرار! الزواج يعني؟! فقط.

-الزواج والإنجاب وتربية الأولاد.

قاطعته:

-توقَّف من فضلك هذا ليس من شأنك، من قال لك إنني أريد كل هذا، من قال إنني أريد الإنجاب، أأنجب أطفالًا يكونون السبب في لقاء موتي. أأوهب أطفالاً حياة كي يسلبونها مني!

قال بعدم فهم لفلسفتها:

-ماذا؟!

- أنت لا تفهم شيئًا إنَّ الأطفال خطر على أهلهم خاصة البنات، خلفة البنات تجلب الموت إنَّهنَّ خبيثات.

- إذن فأنتِ مثلهنَّ خبيثة.

- فلنعد لسؤالك الأول هل أريد فعلاً الزواج؟

ما أريده حقًا أن أسافر حول العالم، ولكن هذا لا يتم هنا إلا من خلال الزواج، لذا نعم أريد الزواج!

أحتاج لحبٍ وأمانٍ، وهذا لا يتوفر لي إلا من خلال الزواج، لذا نعم أريد أن أتزوَّج.

أريد أحدًا ما يحتضنني ويضمني بقوةٍ بين ذراعيه، وهذا لا يتحقق إلا من خلال الزواج، لذا نعم أريد أن أتزوَّج.

أريد رجلًا لديه حكمة ويحبني، بل يعشقني، أريد رجلًا أشيب قليلاً كي يحميني ويتفهمني، أريد رجلًا يدللني. أريد رجلًا يشبه أبي، لا لا، لا أريد رجلًا يشبهه. (وقالت بصوتٍ غير مسموعٍ):

-أريد أبي نفسه!

- ربما أنتِ بحاجةٍ لأب لا لزوج يا فتاتي.

***

تتزوجين من رجلٍ أكبر منكِ سنًا بحثًا فيه عن والدك الذي قد مات بداخلك، تبحثين فيه عن أبٍ تفتقدينه، ومن ثم تتفاجئين أنه مجرد رجل لديه رغباته وشهواته يراكِ فتاة حسناء يريد مضاجعتها لا أكثر، يراكِ زوجة عليها واجبات ومسؤوليات، ينتظر منكِ مقابلًا، يحبكِ، ولكن بشروط، حتى تنزل عليكِ الصدمة مرة أخرى حين يضاجعك؛

وتكتشفين في النهاية الحقيقة التي تنكرينها، أنه ليس والدك، وأنكِ لستِ ابنته.

فتصدمين مرتين؛ مرة من والدكِ الذي تخلَّى عنكِ ولم يشبعكِ من أبوته، ومرة من زوجكِ الذي حسبتيه أنه يحل محل والدك، وأنه لم ولن يكون لكِ ما تمنيته، لن يكون لكِ الأب الذي تفتقدينه وتبحثين عنه في كل رجل. ولكن عليكِ أن تعترفي أنكِ أصبحتِ زوجة لا ابنة، وتقبرين بداخلك طفولتك، لأنَّها لن تنفعك بعد الآن.

تدركين أنَّ الأب المثالي الذي في خيالك ليس له وجود، وألا تحاولين البحث عنه في الخارج، لأنَّ نموذج الأب الذي لديكِ ليس هناك أفضل منه في العالم الخارجي، وأنَّه طالما أبيكِ لم يشبعك من حنانه، فلن يشبعك به أحد آخر، وأن لا حقيقة علمية وراء غريزة الأمومة، وما هي إلا إرث مجتمعي، وأنَّ الحياة التي تحلمين بها ليست إلا وهمًا، وأنَّ الحرية التي تطمحين إليها لن تدركيها أبدًا، وكل من يطعمك

يملكك، وأنَّ السجن هو البيت ولكن تخرج منه رائحة البخور وأنوار الزينة!.

***

لدي عادة سيئة، هي أن أرى القيمة في الأشياء التي بلا قيمة، لذلك أغرمت بـ"علي".

اختياري لـ" علي" لم يكن بكامل وعيي، لأنني عندما رأيته فقدت وعيي بالكامل. هذا وبدون مبالغة، أحببته لاوعيًا، ولا أريد أن أفيق ثانيةً.

"علي" ذاك الشاب الرجولي الذي يُعتمد عليه، مروءته تسبق سنه، ملامحه متداخلة تم صنعها ببراعة، عيناه بندقيتان، ينظر بعين نصف مفتوحة؛ تلك النظرة ينظرها عندما يريد التركيز في أمر ما، تلك النظرة تذبحني!.

يداه قويتان، بشرته ذهبية، لديه ابتسامة عريضة الفكين، صوته عذب تخرج الكلمات من لسانه بسلاسة،

وأخيرًا يحب الشاي! وأنا بإمكاني صنع ألذّ كوب شاي في العالم!.

****

الحادية عشر مساءً.

أنا و"علي" نجلس أعلى المقطم، ننظر للسماء، ونشاهد بروجها، لقد آمنا معًا بقدرة السماء على تحقيق أمنياتنا، فوضعت كفي على فمي وهمست بأمنيتي التي قد تبدو غريبة ومنفرة بالنسبة للآخرين، تمنيت أن يكون "علي" حبيبي عقيم! وأرسلتها للسماء، وفعل هو أيضًا مثلي.

سألته: ماذا تمنيت؟

قال:

-تمنيت أن يكون لي طفل منكِ!.

وبعد تلك اللحظة تغير كل شيء، وبدأت حكايتي أو جريمتي التي ارتكبتها في حق "علي" الذنب الذي لن يغفره لي أبدًا إذا علِم أنني من تسبب فيه.

***

يظن الآخرون أنَّ أمنيتي بعقم "علي" راجع إلي عقمي كذلك، فأبحث عن آخر يماثل عيبه عيبي! ولكن الأمر ليس كما يبدو، بل العكس، أنا لست عقيمة بل مؤخرًا قد أجريت فحوصات وأشعة على رحمي والمبيضين، وجاءت النتيجة أنني لدي خصوبة ممتازة، يرى الآخرون أنَّ العقم عيب في صاحبه، وأنا أراه ميزة وهبة!.

السبب الحقيقي وراء رفضي- للإنجاب هو شعوري واعتقادي الواعي واللاوعي بأنَّ وجود الطفل الذي سيأتي مني متوقف على عدمي! وأنَّ منحه للحياة مرتبط بسلبها مني!.

وكذلك عشقي المرضي لـ"علي" وأنني لن أتحمل أبدًا أن يحب مخلوق آخر غيري على وجه الأرض، حتى لو كان ذلك المخلوق هو ابني منه! لن أتحمل رؤيته يهتم بآخر غيري، ويعطيه جزءًا من قلبه، حتى لو كان مثقال ذرة، أريده كله لي

وحدي دون أن يشاركني فيه أحد، أنني أغار عليه من نفسه فكيف لا أغار عليه من غيره.

تفكيري يبدو غير منطقي ولا يتقبله عقل، نعم وهو كذلك أنا مريضة به!

ثم إنني أعتبره ابني المطيع، وأنا طفلته فلا حاجة للإنجاب إذن.

كما أنني متأثرة بمعتقدات هندية، فهم يعتقدون أنَّ الزوج بمثابة إله، و" علي" عندما يصبح زوجي سيكون هناك إله في السماء و" علي " سيكون إلهي في الأرض!.

فعليه أن يكتفي بي، ومسألة الإنجاب مرفوضة لا نقاش فيها.

فزوجي سيكون سيدي وسيد قلبي، فيجب أن أختار بعنايةٍ من سيتولى سيادتي، و" علي" محبوبي ومعبودي هو من خُلقت لأجله.

ولو سمع أحد بمعتقدي عن ألوهية الزوج، سيقولون هذا سفه وكفر!.

"ومالي ومال الناس كم يلحونني سفهًا ديني لنفسي ودين الناس للناس".

الحلاج

***

يسألني " علي" هل لديكِ أحلام؟

نعم، ولكن ليس الكثير، حلمي بسيط، أن أرتدي زيًا مريحًا وأمكث في البيت أشرب قهوتي وأقرأ في هدوءٍ وسلام نفسي- وإحساسٍ عامٍ بالرضا عن ذاتي وقيمتي حتى دون إنجاز، دون التزامات، دون ضغوط.

حلمي بسيط أن أضع رأسي على الوسادة دون أرق في التفكير عن صورتي الذاتية.

حلمي بسيط، ليس أكثر من التأمل في السماء والقمر والنجوم وأنت.

عندما سألتني عن حلمي، أنت أول من خطر على بالي، ما المشكلة أن تكون أنت أسبابي لأحيا، ما المشكلة أن أسخر حياتي لك؟

ربما لأنَّه عندما تذهب أنت فتذهب أسبابي للحياة؟

لا مشكلة في ذلك أيضًا!.

ما المشكلة أن أفنى بك!.

"وما همَّني إن خرجت من الحب حياً، وما همَّني إن خرجت قتيلاً".

أحبك جدًا.

****

انتقلت للعيش في بيت علي بعد كتب الكتاب، ولم ينتظروا للزفاف لأنتقل لأنني في نظرهم فتاة يتيمة مسكينة هه!، نقلت أغراضي، كتبي وتمثالي أنوبيس (إله الموتى في مصر القديمة).

البيت كبير ومتسع من طابقين، بارع الهندسة من الطراز القديم، والعائلة مكونة من العم الكبير الذي قام برعاية "علي" بعد وفاة والديه، و"كمال" ابن عمه الذي تعلم والتحق بكلية الطب وأصبح طبيب ذكورة، فهو متعالٍ قليلاً كقامته!.

و"نوران" ابنة عمه أيضًا عمرها ١٨ عامًا لازالت مراهقة، ولكنها أنثى كما يجب، بها كل ما ليس بي، شديدة البياض، ممتلئة الجسد، هذا الجسد الذي يعبده معظم الرجال، ولحسن حظي ذاك النوع ليس ذوقًا علي، بل يعتبر أنَّ هذا الامتلاء شيء مقزز وأنَّه يفضل القوام البسيط الرقيق.

أما عن زوجة عم "علي" فهي أيضًا متوفاة، فلا توجد امرأة في هذا البيت سوى "نوران" و أنا طبعًا!.

لاحظت منها أنها لا تتقبل وجودي معهم، تغار مني مثلاً!. لا أعرف على ماذا تغار، فهي جميلة، ربما لأنها تراني أذكى منها، ولأنَّ "علي" يحبني أنا وهي التي تربيت معه وظنت أنه أصبح ملكها بالوراثة!.

عرفت ذلك عندما كنا أنا وهي بالمطبخ، لتطهو الغداء وأنا أتعلم منها أساليب الطهي.

نوران:

-بصراحة يا "أيلول" أنتِ لستِ مناسبة لـ"علي"، أنتِ على ما أظن أكبر منه، كما أنكِ تبدين كطفلة بسبب جسدك النحيل، انظري إليّ (وبدأت تستعرض جسمها) فأنا أكثر منكِ جمالاً وأنوثة وأصغر سنًا، أنا التي تليق بـ"علي".

أيلول:

-وطالما أنكِ الأجمل والأكثر أنوثة، لماذا لم ينظر إليكِ "علي" حتى؟!.

نوران:

-لأنكِ محتالة دخيلة. (ووضعت بعصبية الدجاج في الشربة).

أيلول:

(شعرت بالغثيان فوضعت يدي على فمي سريعًا، وجريت على الحمام).

قالت نوران بخفة دم زائدة:

-هل هذا حمل قبل الأوان ههه!.

قلت:

-لا فيجان. (نباتية).

وأغلقت على نفسي باب الحمام.

الحمام المكان الأكثر خصوصية في هذا البيت ولا أحد يقتحمه لذلك أبكي فيه بكل حرية، فأصبح الحمام مكانًا للراحة فعلاً، ولكن للراحة النفسية، كما أنَّه الأكثر خصوصية ليس للعري الجسدي فقط، ولكن للعري النفسي أيضًا، أكون فيه متجردة من كل أقنعتي النفسية من كل درعٍ واقية، أكون فيه بمفردي فقط أنا ونفسي.

لقد ازداد تمسكي بـ"علي" أكثر عندما علمت بحب "نوران" له، كم هو إحساس لذيذ عندما تنال بسهولة ما تمنَّاه غيرك ولم يدركه.

****

اقترب موعد الزفاف، ماذا أفعل في موضوع الإنجاب!.

سأخبره بكل سهولةٍ، أنا لا أريد أن أنجب، لدي فوبيا ورعب من الحمل والولادة، لا! سيعيد التفكير في زواجنا، ربما سيعيد التفكير في نوران لا، لا لن أخبره.

خرج "علي" للعمل.

أخذت الحاسوب الخاص به وفتحته، كلمة السر مكونة من حروف اسمي، دخلت على محرك البحث وكتبت: ثمن بيع الرحم، جاءني في نتيجة البحث ثمن الرحم البديل ١٥٠ الف دولار!.

بحثت أيضًا عن رُهاب الحمل والولادة.

جاءتني العديد من الأبحاث في ذلك الموضوع والذي تحدَّث عنه أكثر من طبيب نساء وتوليد وأطباء أمراض نفسية، ذهلت! لقد ظننت أنني الوحيدة التي تعاني من تلك الفوبيا! وعرفت أنَّ اسمها العلمي هو "توكوفوبيا"!

التوكوفوبيا الأساسية هي الخوف والرهبة الدفينة من الولادة لدى النساء اللواتي لم ينجبن من قبل، تبدأ في فترة المراهقة، أو مع الحمل.

وهذا الخوف الشديد من الولادة يسمى حرفيًا فوبيا الولادة، وبالنسبة لبعض النساء، يشمل هذا أيضًا الاشمئزاز من الحمل.

وتشير البحوث إلى أنَّ بعض النساء المصابات بهذا الخوف الشديد، قد يتجنبن الحمل تمامًا، أو قد يفكرن في الإجهاض لتجنب هذا الأمر.

يمكن أن يتسبب في حدوث خوف من الجنس الآخر، وبالتالي الشعور بعدم الرغبة في الزواج بالنسبة للمرأة.

وحتى إذا حدث الزواج قد يتولد لدى المريضة شعور بعدم الرغبة في العلاقة الجنسية مع الامتناع التام عنها في بعض الأحيان. ويوضح طبيب نساء وتوليد: "تشعر المرأة

بدرجةٍ من الدونية وأنها غير كفء لزوجها، مما يسبب لها إحباطًا شديدًا واكتئابًا ورغبة في الانتحار في بعض الأحيان، بالإضافة إلى عدم القدرة على التواصل مع الجنس الآخر."

قرأت أيضًا عن أعراضها.

تشمل فوبيا الولادة ظهور أعراض القلق والتوتر المفرطين؛ يحدث ذلك عندما تتخيّل المرأة أو تفكّر بأي شيء متعلّق بالحمل والولادة، بالإضافة إلى أعراض نفسية وجسدية أخرى مرافقة لرهاب الحمل مثل:

تقلبّات المزاج

الأرق ورؤية الكوابيس.

انخفاض الرغبة الجنسيّة وتجنّب الجماع.

الرغبة الملحّة باستخدام عدّة وسائل منع حمل في آن واحد.

المخاوف الشديدة اتجّاه أخطار الولادة مثل وفاة الأم أثناء ولادته!

*** الخوف من الحمل يسبب أعراضه**

قد يسبب الخوف من الحمل تأخر الدورة الشهرية، وربما يؤدي القلق والخوف من حدوث حمل إلى تفويت دورة شهرية كاملة في حالات نادرة، ويرجع ذلك إلى التفاعلات الهرمونية الناتجة عن القلق الشديد من الحمل.

من جهة أخرى قد يكون الشعور بأعراض الحمل الوهمية مجرد شعور نفسي- وهواجس مرتبطة مباشرةً بالخوف الشديد من حدوث الحمل، ويشمل ذلك أعراض الحمل الأساسية مثل الغثيان، واضطرابات الشهية، وألم البطن وغيرها.

ومن ثم بحثت عن" عملية العقم للرجال!".

دخلت على أول موقع ظهر أمامي "قطع القناة الدافقة (تعقيم الذكور)

يعمل قطع القناة الدافقة على وقف وصول الحيوانات المنوية إلى منيّ الرجل. هذا يعني عدم تواجد حيوانات

منوية في المنى عندما يقذف الرجل، وبالتالي لا يمكن أن تتلقح بويضة المرأة ".

قرات أيضًا

"تعقيم الرجل، هو عملية بسيطة تتم في عيادة الطبيب أو المستشفى. ويتم فيها قطع الأنابيب التي تنقل الحيوانات المنوية من مكان إنتاجها في الخصية، فلا يحدث حمل، وتسمى أيضًا بعملية قطع القناة الدافقة. تعتبر من أفضل وسائل منع الحمل، حيث إنَّها فعّالة جدًا وليس لها أية أعراض أو تأثيرات جانبية على النواحي الأخرى للعلاقة الزوجية".

وتلك مشكلة لا أريد "علي" أن يكون واعيًا بما يحدث له! وإن اتفقت مع طبيب أن يخدره بنج كلي، عندما سيفيق "علي" سيشعر ببعض الألم في الخصيتين وسيكتشف الأمر، وكذلك فإنَّ حبوب منع الحمل ليست حلًا دائمًا جذريًا، بل حل مؤقت وارد جدًا كشفه.

جاء في مخيلتي فكرة شريرة وقاسية للغاية! إن حصل ذلك على شكل حادثة دون تدخل مني سيبدو الأمر طبيعي، إذن سألجأ للعنف إن لزم الأمر!.

كتبت على محرك البحث" هل يمكن إصابة الرجل بالعقم ضربًا؟".

جاءت أمامي مواقع كثيرة عن وسائل جديدة لمنع الحمل، الواقي الذكري، اللولب، حتى وجدت الإجابة من استشاري طب وجراحة أمراض الذكورة.

"أنَّ الخصية محمية بنسيجٍ خارجي يتحمل الصدمات لكن إذا كانت الضربة قوية لدرجة التسبب في كدمة داخل الخصية، ما يؤدي إلى حدوث تجمع دموي يضغط على النسيج السليم ما يسبب ضمور الخصية، وهنا يؤثر على الإنجاب والخصوبة".

وقال أيضًا:

"انسداد القنوات المنوية: في حالة الضربة القوية تسبب مشكلة في الخصية ينتج عنها انقطاع الشعيرات الدموية حول الخصية، مما يؤدي لتكوين تجمع دموي قد يسبب في تليف يصل لانسداد في مجرى القنوات التي تخرج منها الحيوانات المنوية، مما يؤدي لعدم القدرة على الإنجاب والخصوبة".

تنفَّست بعمقٍ، أسندت ظهري للخلف، وأغلقت شاشة الحاسوب.

وجدتها!.

-أيلول!

انتفضت خوفًا، أنَّ "علي" قد جاء مبكرًا عن معاده:

-متى جئت؟ (أحاول تهدئة ضربات قلبي، الحاسوب لازال بيدي).

علي:

-حالاً (نظر إلى الحاسوب):

-ماذا تفعلين؟

ابتلعت ريقي وابتسمت:

-كنت أشاهد فيلمًا هنديًا.

- طيب عمي يريد أن يحدثك في موضوع بالمكتب الآن.

-حاضر! سأذهب (لازلت قابضة على الحاسوب).

-أيلول الآن اذهبي وأعطني الحاسوب أريده (ويحرره من قبضتي).

لكنني ضغطت عليه أكثر، واتسعت عيناي خوفًا من أن يرى عمليات البحث الذي لم أحذفها بعد، ولم أخرج حتى من آخر موقع!.

تعجَّب "علي" من ردّ فعلي:

-ما بكِ يا "أيلول" اعطني اللاب!.

-لا ليس بعد، اخرج وتعال بعد ٥ دقائق وسأعطيه لك.

- ولماذا؟!

- لأنني كنت أحضر مفاجأة لك، ولا أريدك معرفتها الآن.

ابتسم "علي" وتحرك نحو الباب، مسكين!

ثم تراجع وقال:

-آه نسيت أن أسألك هل تريدين أن نربي عصافير أم سمك زينة؟.

أيلول:

-أرغب في تربية تمساح.

بلع ريقه ويبدو أنه تفاجأ.

فضحكت وقلت:

-أمزح.

ولكنني لم أكن أمزح.

****

-نعم يا عمي، علي أخبرني أنك تريدني في أمرٍ ما.

- ادخلي وأغلقي الباب، واجلسي.

جلست على الكرسي الآخر أمام المكتب الذي يجلس عليه.

ظلَّ دقيقة صامتًا، شبَّك كفيه وأسند رأسه عليهما، ثم فرك بهما وجهه ورأسه، يبدو عليه للتوتر وكأنَّه لا يعرف من أين يبدأ الكلام!

حتى تكلم أخيرًا:

-أيلول أنتِ تعرفين مدى حب "علي" لكِ أليس كذلك؟

قلت قلقة:

-ما الأمر يا عمي؟!

- بخصوص "علي"

وسكت.

- ها أكمل.

- ولأكون دقيقًا أريد فتح موضوع الخلفة معكِ!

حين نطق كلمة "خلفة" مرَّت ببالي أفكار سريعة، أن الـ Ip الخاص بحاسوب " علي" مسجل على الجهاز الرئيسي. للبيت ملك عمي، وأنه قد اطلع على عمليات البحث التي قمت بها من دقائق، وأنَّه، قد فُضح أمري!.

شعرت أنَّ الجحيم ينتظرني.

- أيلول ! لماذا أنتِ مفزوعة هكذا؟

- أنا أستمع فقط.

- كنت أريد سؤالك هل تودين أن تصبحي أمًا؟!

قلت بداخلي:

-لا طبعًا.

-بالتأكيد يا عمي! (كي لا ألقى استهجانًا ومحاضرات في غريزة الأمومة).

ابتسم وكأنني خيَّبت أمله وقال:

-طيب اتفضلي هذا ما كنت أود معرفته.

شعرت وكأنَّ ماء باردًا يتصبب على رأسي وأنني خرجت من النار عند خروجي من المكتب!

قابلت "علي" عند درج الطابق العلوي.

علي:

-عرفتِ؟

- أهذا هو الموضوع المهم الذي يريد إخباري به! هه.

تعجَّب "علي" من ردّ فعلي وكأنَّ من المفترض أن يكون لي رد فعل مختلف.

صعد الدرج ودخل المكتب عند عمي، فاتبعته أسترق السمع واقتربت فسمعتهم يقولون بخفوتٍ.

علي:

-أأخبرتها كل شيء؟

عمي:

-لم أستطع للأسف، كان يبدو عليها القلق الشديد، فتوقفت الكلمات داخل حلقي.

ابتعدت حين سمعت خطوات تقترب نحوه ونزلت مسرعة الطابق السفلي وجدت "نوران" جالسة على الأريكة بأرضية الصالة تشاهد التلفاز على قناة Mbc Bolyood

يا لها من فتاةٍ فارغةٍ كل ما شغل بالها أن تخسر بعض الوزن وأن تتعلم الرقص الشرقي!

كانت ترتدي زيًا عاري الأكتاف مكشوف الصدر قليلاً، يبدو رائعًا عليها، ليس لأنَّ الثياب جميل، بل لأنها جذابة فتبرز جماله، شعرت بالغيرة.

أحيانًا كثيرة، أود لو أترك لها "علي"، أود أنا أصرخ في وجهه وأقول:

-"نعم أعترف، هي أجمل مني، وتليق عليك أكثر مني، من حيث كل شيء، مستوى التعليم، مستواها الاجتماعي، وكذلك عمرها يناسب عمرك، نعم أنتما تناسبان بعضكما.

تفضلي يا "نوران"، خذي "علي" أنَّه لكِ، لم يعد ينتمي لي بعد الآن.

ولكن لم أعتد ذلك، اعتدت السرقة، الانتزاع خلسة، ومن ثم الهرب بعيدًا بما غنمته!، اعتدت أن أكون سارقة، كاذبة، لئيمة، مزورة، ومن ثم باكية، مسكينة تدّعي الرقة والبراءة.

ركزت نظري على الراقصة الهندية بالتلفاز.

وتساءلت لماذا لا يكون جسدي مثاليًا هكذا مثلها، بلا خدوش، بلا خطوط، بلا ندوب.

فجاءتني الإجابة.

ذلك لأنَّ جسدها بضاعتها، مصدر رزقها، لذا لكي تُباع البضاعة يجب أن تكون بلا عيوب.

كان على الطاولة بعض أقداح القهوة وإبريق، فصببتُ لنفسي بعضًا منها بفنجان، واحتسيته، ومن ثم قلبته على الطبق كي أقرأه -على حد معرفتي بتلك الأشياء- وبدأت أقرأ فيه العلامات كي ألهي نفسي- بأي شيء عن التفكير في أي شيء.

الساعة الثانية عشرة ليلاً.

الجميع نائم، خرجت من غرفتي حافية حتى لا أُصدر صوتًا، اتجهتُ نحو غرفة "علي".

لقد أصابني الأرق كالعادة، وذاك الموضوع المجهول يشغلني، هذا بالإضافة لتأنيب ضميري حول خطتي التي أنوي عليها.

فتحت الباب بهدوءٍ ودخلت، أغلقته خلفي بعنايةٍ شديدةٍ.

اقتربت من فراش "علي" النائم بعشوائيةٍ، ممدد على ظهره، فاتح ذراعيه، وساق مستقيمة والأخرى متخذة شكل مثلث، فاغر الفم قليلاً، والغطاء ملقى على الأرض.

اقتربت أكثر وجلست بجانبه على طرف السرير ومررت يدي على وجهه وشعره، وهنا بدأ يفيق.

قام منتفضًا:

-أيلول!

- نعم أنا.

- هل هناك شيء؟!

- لا شيء، اشتقت إليك فقط.

قال وهو مغمض العينين ويغلبه النعاس:

-اذهبي للنوم يا "أيلول".

- لا ليس قبل أن أعرف.

قام واعتدل جالسًا:

-تعرفين ماذا؟!

أمسكت بياقة قميصه بلطف:

-الموضوع الذي تخبئه عني أنت وعمك.

ابتسم وقبَّل يدي وأبعدني وقال وهو يعطيني ظهره لينام:

-ليس هناك مواضيع، دعيني أنام، تصبحين على خير لولتي.

وقفت غاضبة أمام السرير:

-أنا سمعت كل شيء قلته لعمك خلف الباب.

لم يلتفت لي ووضع الوسادة على رأسه!.

****

(علي)

"كم يكون المرء شجاعًا عندما يتأكد من

أنه محبوب"

فرويد

لم تسمح لي الحياة إكمال دراستي والحصول على شهادة جامعية، بسبب موت والديّ المبكر، فتولى أمري عمي، وجزاء ذلك حُرمت من المدرسة وأسند إليّ إدارة أعماله جميعها بالمطاعم التي يملكها.

أريد أن أكون مسيرًا في حياتي، لا أريد أن أختار شيئًا، أخاف الاختيار كثيرًا، أخشى مفترق الطرق، أود أن يكون هناك طريق واحد فقط أمامي مجبر على السير فيه.

إنَّ في الاختيار شقاءً، حيرة، تردد، وتحمل مسؤولية نتائج ذلك الاختيار.

أنا شخص حساس، قد أفنى داخل أغنية وكأنني الكلمات، قد أفنى داخل موسيقى وكأنني اللحن، قد أفنى داخل قصيدة وكأنني القوافي، قد أفنى داخل قصة تراجيدية ملحمية وأعلق داخلها ولا أستطيع تجاوزها.

قـد يـراني الآخـرون بـذلك هشًـا لا أقـوى عـلى مواجهـة الحياة.

ولكـن إن كنـت تـراني أبـالغ كثـيرًا. فتلـك مشـكلتك أنـت وليست مشكلتي.

لماذا على الرجل أن يبرر رقته، لماذا عليه أن يجد للناس سببًا وجيهًا لكونه رقيقًا، ضعيفًا، حساسًا، ولكونه يبكي!

لكونه لازال بحاجة لصدر أمه؟!

ولذلك انجذبت لـ"أيلول" وجدت بها ما ليس بي، الصفة وعكسها، أحببت ذلك بها، القسـوة الممزوجة برقة، القوة المختفية في الضعف، المكر الملتف حول البراءة، تلك هي فتاتي!.

أحببتهـا كـذلك، أحببتهـا مـاكرة، ااه يـا فتـاتي لـو تعلمـين مدى إعجابي بكِ وبحيلك الصغيرة!

***

كانت حياتي بلا معنى حتى جاءت هي،غيَّرت كل شيء، أصبح لي هدف أريد أن أصل إليه، أصبحت أدرك أنَّ لحياتي قيمة بعد أن كنت أعيشها بلا هدف ولم أكن أكترث لأي شيء، كنت منتظرًا الموت حتى أتت هي وبعثتني للحياة مجددًا، ورتبت كل ما كان مبعثرًا بطريقتها الخاصة.

ذات ليلة لن أنساها، حيث رأيتها أول مرة، كانت نظراتنا التفاتات لا تلتقي.

كنت أتمشى- في شارع الحسين حانقًا على نفسي- وكل شيء بسبب العمل والأعباء التي وضعها على عاتقي عمي.

وفي تلك اللحظة لمحت فتاة ترتدي خلخالاً، لم أعر الأمر اهتمامًا في البدء، ولكنني لاحظت أنها تركز نظرها عليّ.

لا أعرف هل هذا إعجاب أم سرحان!

مرة ثانية أيضًا وفي نفس المكان، ونفس النظرات الموجهة نحوي. رأيتها، إنها هي بذاتها، ولكن هذه المرة ابتسمت لي حقيقةً، لم أصدق أهذه الابتسامة لي أنا؟!.

حتى أكدت ظنوني بابتسامة أخرى حين التفتت إليّ عمدًا، وعندئذ شلّت قدماي وابتسمت ضاحكًا من فرحتي، إنها تقصدني حقًا، ظللت مثبتًا نظري عليها وهي تمشي وتبتعد حتى غابت عن نظري، وفوجئت لعدها أنَّ كل الحي قد شاهد ما شاهدته!

إنها المرة الأولى التي أشعر بها أنني وأخيرًا نلتُ نصيبي من الدنيا، فقط تلك النظرة تكفيني.

وجاء بخاطري وقتها أغنية عبد الحليم "فاتت جمبنا".

***

ولحسن حظي عرفت أنها تسكن في حي الحسين، فهي بذلك قريبة جدًا من مسكني في حي الجمالية، وجاء اليوم الذي فتحت الموضوع لعمي الذي بمثابة والدي المتوفى، رفض في أول الأمر لأسباب عدة منها. أنه كان يريدني أن أتزوج ابنته "نوران" التي تصغرني بثلاثة أعوام، ولأنها كما

يقولون "ستر وغطا عليّ" وأنها الوحيدة التي ستتقبلني بعيوبي.

أما عن الأسباب الأخرى أنه لايزال يراني شابًا صغيرًا على الزواج، حيث مازلت فى الواحد والعشرين من عمري ولم أكوّن نفسي بعد ومستقبلي بلا ملامح.

والسبب الأخير والذي لا أراه سببًا أنَّ تلك الفتاة التي أريد أن أتزوجها تكبرني بعامٍ.

وبعد كل تلك الأسباب وافق عمي بعد إلحاحٍ كبيرٍ مني.

وتمت على خير.

***

عندما نقلت أغراضها في غرفة زواجنا، رأيت تمثالًا لجسم إنسان برأس كلب مخيف، عرفت بعدها أنها شخصية قديمة في التاريخ المصري. لا أنكر فزعي من التمثال وصورته، فقررت أن أهديها "باستت" تمثال على شكل قطة، ووجدت أيضًا كتابًا بين كتبها بعنوان "الأمومة

وأشباحهها"! لم أفهم مقصد الكتاب ولم أهتم لسؤالها، لا أقرأ الكتب كما تفعل هي، في الحقيقة لا أعرف كثيرًا كما تعرف هي، وذلك يشعرني بالنقص قليلاً بجانبها، ولكنها قالت لي بخصوص ذلك الموضوع:

-"لا يهمني أن تعرف شيئًا سوى أن تعرف كيف تحبني، كيف تعاملني، كيف تعطيني ما أحتاجه حقًا! لا يهمني إن كنت تقرأ أم لا إن كنت مثقفا أم لا، إن كنت تملك شهادة جامعية أم لا، ما يهمني حقًا هو أن تعرف كيف تقدر قيمة ما تملك".

كيف تنطقين الكلام من على لساني هكذا، كيف تعبرين عن مشاعرك بكل شجاعة، تتحدثين عن نفسك بكل فصاحة، بوضوح، تنساب الكلمات على لسانك بتلقائية مدروسة، كيف تبهرينني هكذا؟!.

لطالما شعرت بداخلي أنني لست جديرًا بكِ، وأنكِ تستحقين الأفضل، وذلك الشعور كاد يقتلني.

يلازمني شعور قلة القيمة في حضورك.

وأسأل نفسي- دومًا ما الذي فعلته جيدًا في حياتي كي أحظى بفتاة مثلك؟

لذلك أبذل كل ما في وسعي لأكون جديرًا بكِ، ولتكوني فخورة بي كزوج لكِ.

***

بدا على "لولا" التوتر والقلق الشديد كلما اقترب موعد زفافنا، لقد رأيتها في مارس، والخطبة في إبريل، وموعد الزفاف في سبتمبر، لكنها لم تكن كأي فتاة اقترب زواجها، كان يغلب عليها الخوف وكأنَّ خطرًا قادمًا، قلت في نفسي. ربما هذا طبيعي.

أما عني فكنت خائفًا أكثر منها، فأنا لم أصارحها بكل شيء بعد، وقلت لعمي أن يخبرها هو بطريقته، لأنني لست

شجاعًا بما يكفي لأواجهها بذلك، لكن عمي أخبرني أنه ليس الوقت المناسب لتعرف، فقررت أن أخبرها بنفسي:

- أيلول يجب أن تعرفي شيئًا عني قبل زواجنا، فأنا قبل سنوات وقعت لي حادثة تسببت في.

- في ماذا؟

- تسببت في ترك أثر ندبة! تركت علامة في خدي.

- ضحكت وقالت: أنا أيضًا لديّ ندوبي، ولكن لن أدعك تراها إلا بعد زواجنا.

لست مستعدًا لذلك، ربما لو أخبرتها ستعيد التفكير بي، كل فتاة تتمنى أن يكون لديها أطفال، ستعرف بعد الزواج وليكن ما يكون.

ولكني متأكد دون شك أنها تحبني بصدق، تحبني لذاتي ليس لشيء آخر، هي من أخبرتني بذلك عندما سألتها:

لماذا وافقتِ بي؟

قالت:

-هكذا ليس هناك لماذا؟، هو كذلك، لأنه أنت، فقط أنت.

كانت تقول كل حرف بأسلوب مجرد، إنها تلك الفتاة التي ترى المعنى السامي في الأشياء، تلك الفتاة التي نلتُ شرف حبها، تلك الفتاة الفاضلة التي تُدعى "أيلول".

***

في ذاك المساء الذي أخبرني فيه عمي أنه لم يستطع البوح لها بالسر، ليلتها جافاني النوم، كنت أفكر وأفكر، ما الذي ستفعله لو علمت؟، وماذا سيكون رد فعلها؟، ومتى سيأتي الوقت المناسب لذلك؟، وماذا لو تركتني؟

إنَّه كابوس لو حدث، سأفقد نفسي- حينها، سأفقد الهدف والمعنى والقيمة، تلك الأشياء التي منحتني إياها ستسلبها مني ثانيةً، سيعود إليّ القلق المزمن حول ماهية ذاتي، ستذهب وتأخذ معها السبب الذي من أجله تمسكت

بالحياة، سيتلاشى إيماني بالحب، سيهاجمني وحش الخوف ثانيةً من فقدان المرأة من حياتي مرة عند فقدان أمي ومرة عند فقدان "أيلول".

كل تلك الأفكار تهشِّم رأسي لمجرد تخيلي فكرة انفصالكِ عني، تلعب بي الأفكار لعبة سادية، ولا أملك سوى الاستسلام لها.

وكلها ستختفي مرة واحدة لو قلتِ لي أنكِ ستظلين معي مهما تكن الحالة التي أنا عليها.

وأثناء شرودي في تلك الليلة السوداوية، سمعت صوت خطوات خفيفة لا تكاد تلمس الأرض تقترب من غرفتي، حينها دقت الساعة الثانية عشرة، فأغمضت عيني متظاهرًا بالنوم، فُتح الباب ودخلت "لولا" ما الذي جاء بها؟!

بقيت على حالتي نائمًا، اقتربت مني ومررت يدها على رأسي وشعري، يالـه من إحساس رائع، لا أريدها أن تتوقف ولا أريد أن أصحو.

قمت وكأنني تفاجأت من وجودها، قالت إنها اشتاقت لي ولكنني شعرت بمكيدة في الأمر، فتظاهرت بالنعاس.

قالت بنبرةٍ غاضبةٍ:

-أنها علمت بكل شيء.

فوضعت الوسادة على رأسي وظهري وكأنني لا أبالي، وفي الحقيقة بداخلي كنت أموت رعبًا. هل حقًا عرفتِ كل شيء؟.

****

وتزوَّجنا أخيرًا، اختارت "أيلول" قضاء ثاني أسبوع من زواجنا في الإسكندرية.

وفي الطريق كانت صامتة ولم تتكلم معي كعادتها، تنظر لنافذة السيارة على الطريق وتفكر في شيء أجهله، هل تفكر في إنهاء علاقتنا !.

نظرت في ساعتها بتوترٍ، ثم عادت للنظر من النافذة.

فقلت لأقطع هذا الصمت:

-لم تخبريني حتى الآن ما المفاجأة التي تحضرينها لي من قبل الزواج.

قالت:

-ستعرف عندما نصل.

-"لولا "هل هناك شيء تودي إخباري به؟.

- لا! هل تريد أنت إخباري بشيء؟.

هززت رأسي وأنا أقود بأن "لا"

قالت:

-"علي" أنا خائفة أشعر أن هناك شيئًا سيئًا سيحدث لنا، عد بنا إلى البيت.

تلك الفتاة تثير غيظي قلت:

-لا تقلقيني أكثر، لن أعود بعد أن قطعت تلك المسافة.

ظللنا صامتين طول الطريق، أنا غاضب وهي متوترة على وشك أن تبكي!.

وفي عتمة الطريق لاحظت في المرآة سيارة سوداء خلفي، وشعرت فجأة أنَّ الطريق خالٍ إلا مني ومن تلك السيارة، زادت سرعتها حتى سبقتني! ما هذا الجنون قد اعترضت طريقي!

وقفت السيارة أمامي وخرج منها رجلان ضخما الجسم، فاضررت إبطاء سيارتي وتوقفت.

أيلول:

-لماذا توقفت، تحرك، يبدو أنَّ نيتهما شر!.

- لماذا افترضت ذلك، ربما سيارتهما معطلة.

اقترب أحدهما وأشار لي أن أفتح زجاج السيارة.

قال بنبرةٍ عدائيةٍ:

-انزل!

كنت سألعنه، ولكن خرج رجلان آخران من المقعد الخلفي للسيارة، والاثنان يمسكان بعصا تشبه المنجل، ويقتربان من سيارتي!

قلت لـ "أيلول" ألا تخرج وتتصل بعمي أو بالنجدة سريعًا.

فتحت باب السيارة وخرجت. فأمسك بي الرجل الذي أنزلني فقلت له:

-سأفعل ما تريد، ولكن لا تؤذها.

لم يرد وجرني لسيارته.

التفتُّ لأطمئن أنَّ الرجلين لم يذهبا لـ "أيلول" وأنهما ركبا معي بالفعل بالمقعد الخلفي، لا أعرف لأين، أو من هم، أو ماذا يريدون؟!.

ولكن انتابني شعور غريب، فلقد لاحظت شيئًا عندما ألقيت نظرتي الأخيرة على "أيلول"، أنها جالسة في السيارة بهدوءٍ ولم تتصل بعمي كما أخبرتها، كانت تنظر عليّ ببرود دون استجابة للموقف، فقط كانت تشاهد!

ربما من الصدمة!، أو مؤكد تفعل ذلك كي لا تثير انتباههم وستتصل بالنجدة فور ذهابهم.

وصلوا بي في مكان ناءٍ بعيدٍ عن الأنظار يشبه صحراء، لا يسمع صراخك أحد هناك.

أخرجوني وألقوني أرضًا، وبدأ الأربعة رجال بضربي بالعصيان بلا توقف، دون كلام، صرخت سائلاً:

-من أنتم وماذا تريدون مني ولماذا تفعلون ذلك بي؟؟!.

وجاءني الرد على أسئلتي بالضرب، الضرب المؤلم المُركز على منطقة واحدة في جسدي، بؤرة جسدي، ثلاثة رجال يضربونني معًا في منطقة معينة، والرابع يقف بعيدًا عن السيارة يراقب ما يحدث.

شعرت أنها النهاية، وأنني سأفقد الوعي من شدة الألم، وقبل أن أغيب عن الوعي جاءتني فكرة أكثر وأشد رعبًا، ماذا لو أنهم ينتهون مني أولاً حتى يتفرغوا لـ "أيلول"؟!

ثم ظلام.

***

لا تحاول أن تقاتل الألم. صدقني سيهزمك في لحظه لأنَّه أقوى بكثيرٍ، لا تدخل معركة خاسرة من البداية لن تجني منها سوى إنهاك قواك، فقط استسلم.

دع ذاك الشعور يستنزفك كلياً حتى ينتهي منك تماماً ولا تقاومه، دعه يدمرك، وعندما يجد أنك قد انتهيت سيختفي، عندها قم واجمع حطامك ولا تخف لن يلتفت لك مرة أخرى لأنك ستكون قد حُطمت بالفعل والألم لا يثيره المحطمون.

عاد لي الوعي نسبيًا، كنت محمولاً في سيارتهم، أعادوني لنفس المكان الذي أخذوني منه، وألقوني على الطريق، لمحت "أيلول" تجري نحوي تصرخ وتبكي منهارة، وشعرت أنَّ آلام جسدي زالت عندما رأيتها بخيرٍ ولم يمسها سوء ولكن آخر شيء سمعته، سمعت "أيلول" تقول باكية للرجل الذي أخذني:

-قلت لك أن تخدره أولاً!.

(فقدان العذرية)

"كل مكبوت حاضر دائمًا ويعبر عن نفسه

بطريقة مربكة في ظواهر عدة"

جاك لاكان

عندما كنت أكذب أو أفعل شيئًا خاطئًا كنت دائمًا أبكي، تلك كانت طريقتي للتعامل مع خداع ذاتي.

أتذكر عندما كنت بالحي في السنة الأولى بمعهد الموسيقى، وأنا في طريقي بالدراجة وجدت سيارة لم أر في فخامتها قبلاً، توقفت لي، وفتح باب السيارة الأستاذ "منتصر" تاجر ذهب وصاحب محلات أنتيكات، طويل القامة، نحيل، شعره رمادي مائل للأبيض، كان يوصلني أحيانًا للمدرسة وأنا في إعدادي، ويعطيني مصروفًا إضافيًا، ولكن نظرته تغيَّرت لي عندما كبرت، لمحت في عينيه أنني جذابة وأنَّه يرغب بي! وكذلك أنا لم أعد أراه "عمو منتصر".

ركبت معه السيارة ليرى زميلاتي السيارة الفخمة التي أنزل منها.

"أستاذ منتصر" تاجر ذهب وبلطجي في الوقت نفسه يفعل ما يحلو له في الوقت الذي يحلو له.

لم تقتصر علاقتي به مجرد توصيلة بسيارته، بل كان يأخذني بعد المعهد في نزهة ويعزمني على الغداء، وبدأ يخبرني باحتياجه الشديد لفتاة مثلي في حياته وأنه يريدني. و .. و.

لم آخذ كلامه على محمل الجد، لأنَّ العلاقة كلها كانت بالنسبة لي تسلية لا أكثر، وعقابًا لأبي الذي فضّل أمي عليّ، غير أنَّه متزوِّج أيضًا ولديه أولاد في عمري تقريبًا، ولكن العلاقة استمرت طوال دراستي بالمعهد، فهو يخرجني بعد كل امتحان، ويجلب لي الهدايا والمال لأشتري ما أريد.

كان يعبر لي عن رغبته فيّ بوقاحةٍ وابتذالٍ، وهذا كان مقرفًا وينفرني منه، لكنه لم يحاول حتى أن يلمسني، لأنَّه يعرف أنني لن أسمح بذلك، كان يكتفي بكلماته البذيئة، مع ذلك كان هناك جانب مني مستمتعًا بذلك! على الأقل أشعر أنني مرغوب بي وأنني جذابة بالنسبة للرجال، وأجد معه ما

لا أجده مع أبي، أُشبع رغبات محرمة معه تمنيت أن تكون مع أبي!.

"لطالمـــــا دفعت بي حاجتي إلى الحنان إلى التماسه عند أشخاص كانوا يحاولون تدميري! "

فان جوخ.

****

وبعد الامتحان الأخير من السنة الأولى أخذني لنحتفل وقال إنَّه أحضر لي مفاجأة في السيارة، ركبت أنا وذهب هو ليشتري سجائره، بحثت في السيارة، وجدت علبة قطيفة، فتحتها كان بها خلخال ذهب، يبدو أنه غالٍ، أخذته بسرعة ووضعته في حقيبتي، وعندما عاد، بحث عن العلبة في كل مكان بالسيارة وبدا عليه التوتر والغضب، وكنت أنا جالسة بهدوءٍ أشاهده بنشوةٍ ولذةٍ، فهو مستحيل أن يتوقع أن أسرق شيئًا كان سيهدى لي بعد دقائق، ولكنني أحببت أن

أنتزعه بنفسي على أن يُهدى لي! إنَّ في ذلك متعة أعلى بكثيرٍ من الهدية!.

قال بوجهٍ محمّرٍ إحراجًا:

-سأعوضك بهديةٍ أخرى أجمل منها.

ابتسمت وقلت:

-لا بأس.

***

في ذلك اليوم، قضيته كله بالخارج، وعدت المنزل متأخرة.

والداي مؤكد سيعنفناني، فوجدت نفسي. وأنا في الشارع عائدة أبكي!.

طرقت الباب، فتحت لي أمي وكانت تبدو أنها تنتظرني بوجهٍ غاضبٍ وعندما رأتني أبكي عدلت عن ذلك.

كنت أبكي ليس تمثيلاً أو هروبًا من العقاب بالاستعطاف، كان بكائي حقيقيًا لأنني أخطأت!.

وفي الإجازة كنت أريد السفر مع "منتصر" يومًا كاملًا، فأخبرتهما في البيت أنها رحلة تبع الجامعة، ولم يوافقا، فبكيت وصرخت بهيستيرية، ليس بسبب رفضهما، ولكن لأنني أنوي فعل شيء خاطىء!.

وكأنني أتخذ البكاء ميكانيزم وحيلة دفاعية لأخطائي.

***

وبعد تخرجي في المعهد، نزلت لأشتري وأتسوق من الحسين.

ذلك اليوم الربيعي الجميل بشهر مارس، رأيت فيه "علي" كان شاردًا يبدو عليه الغضب لا الحزن، عندما رأيته كان كل شيء جميلًا تحدثت عنه الأساطير تجسد على هيئته! نظرت عليه كثيرًا لكنه لم يلحظني، ولم يعر نظراتي اهتمامًا كبيرًا، فابتسمت له مرة واثنتين، ومضيت.

عندما رأيت "علي" شعرت بنقاءٍ غريبٍ يسود الجو، ولم أتوقع أنَّ هذا النقاء سيكون من نصيبي.

ومجـرد رؤيـتي لـه جعلتـني أقـرر أن أقطـع علاقـتي بهـذا "المنتصر" بعدها قررت أن أكون، أكون فتاة فاضلة!.

***

في الوقت الحاضر

لم يتبق على الزفاف سوى شهر، هذا ما جعلني أتذكر المدعو "منتصر." ذاك التاجر البلطجي الذي يفعل ما يريد وقت ما يريد بالطريقة التي يريد.

لازلت أحفظ رقمه، اتصلت عليه وأخبرته بما أنوي فعله بـ"علي" وافق على الفور، إنها أشياء سادية، وتلك الأشياء تحلو له كثيرًا، واتفقنا على إتمام العملية ثانى أسبوع من الزواج على طريق إسكندرية الصحراوي.

****

أول أسبوع من زواجي لم يكن كما ظننتُ.

لم أسمح لـ "علي" خلال الأيام الأولى بالاقتراب مني، لأنني قد عانيت من التشنجات المهبلية!.

أول ليلة

لم يحدث بيننا شيء، فقط نمت من التعب.

اليوم الثاني

لم يحدث بيننا شيء أيضًا.

اليوم الثالث

تشنجات مهبلية، خوف، ألم، وقلق.

اليوم الرابع

حاول "علي" الاقتراب مني، ولكن عضلتا المهبل لم تسمح له بذلك.

اليوم الخامس

أخيرًا تخلصت من عذريتي، لقد كانت حملًا ثقيلًا أحمله طيلة هذه السنوات.

تلك التشنجات المهبلية كانت رد فعل لا إراديًا لجسدي تلقاء محاولة فقدان العذرية.

اليوم السادس

كابوس الحمل والولادة يطاردني في أحلامي.

اليوم السابع

مبروك المدام حامل!

الجميع يهنئني.

بطني يكبر أمامي بسرعة غير عادية، ما الذي يحدث؟!.

أنا حامل حقًا وعلى وشك الولادة، آآآه!!

صباح الخير يا أحلى عروسة

استيقظت على صوت "علي" بجانبي، الحمد لله أنه كابوس وأنا لست حاملًا.

****

على الطريق للإسكندرية.

كنت متوترة أفكر فيما أنوي فعله. هل أنا مختلة؟

ما أنويه خطيئة، ولكني سأفعلها على أي حال.

لا لن أفعل، ما المشكلة أن أخبره أنني لا أريد الإنجاب، وينتهي كل شيء، لا، إنَّه قال إنَّ أمنيته أن يكون له طفل مني، ماذا لو أخبرته بذلك فتركني، لا، لا أريد تخيل ذلك، لن أستطيع تحمل فكرة تركه لي، أتمنى أن تمر هذه الليلة على خير وبعدها أقسم أن أكون فتاة فاضلة.

وأثناء أفكاري سألني "علي":

-هل تودين إخباري بشيء؟.

قلت:

-لا.

بعدها بساعة أخبرته أن نعود، قلت ذلك كي أخفف شعوري بالذنب، وأنا أعلم يقينًا أنه لن يعود.

كان مُشغلًا في البلاي ليست للسيارة أغنية شعبية تقول: "ألاقي زيك فين يا علي،

وانت في العين دي، والعين دي يا علي.

يا كاويني يا علي، يا ناسيني يا علي.

ع العين يا علي يا علي، علي! "

من أول الطريق وأنا ملاحظة السيارة السوداء خلفنا، وأعرف أنهم ينتظرون اللحظة المناسبة، حتى جاءت تلك اللحظة.

توقف "علي" من نفسه ظنًا منه أنَّ سيارتهم معطلة وأنهم يريدون المساعدة!.

حتى جاء رجل منهم وأنزله، لم أستطع التمثيل أكثر من ذلك، نظرت لـ"علي" نظرة تبوح بكل شيء، نظرة تقول له:

-نعم! أنا من فعلت كل هذا بك، لكنه لم يفهم، أو أنه لا يريد أن يصدق ذلك.

كان يجب عليه أن يتوخى الحذر عندما يكون بمفرده معي، لكن من يتخذ حذره مع من يظنه الأمان؟!.

بقيت في السيارة قرب ساعة أو أكثر أنتظر إتمام العملية، كنت أبكي وأقول لنفسي أنه سيكون بخير ولن بشعر بشيء سوى ألم بسيط عندما يفيق، سأقول له لا بأس يا حبيبي إنها حادثة، لا يهم أنك أصبحت عقيمًا، المهم أنك بخير، المهم أننا معًا.

حتى عادت السيارة وألقت بـ "علي" على الطريق، هنا شعرت بالانهيار يبدد جسدي وعقلي، خرجت من السيارة مسرعة نحوه، كيف يلقونه بذلك العنف الأوغاد ليس عندهم رحمة!

وأدركت أنَّ "علي" لم يكن مخدرًا، بل يبدو أنَّ وعيه قد ذهب من شدة الألم!.

صرخت باكية في وجه الرجل:

-ألم أقل لك خدِّره أولاً أيها المختل السادي!

قال:

-انظري إلى نفسك أولًا، أنتِ من أردتِ فعل ذلك في زوجك، على الأقل أنا لا أعرفه، ها! من السادي المختل الآن؟ ثم ذهب.

هنا أخرجت هاتفي من الحقيبة واتصلت بعمه طلبًا للإسعاف.

****

"عندما تتخطَّى مرحلة صعبة من حياتك، أكمل الحياة كناجٍ وليس كضحية".

جلال الدين الرومي

في المستشفى.

كمال:

-ماذا حدث؟

أيلول:

-كانت حادثة.

- ولماذا لم يصبك أنتِ شيء؟ هل تتذكرين وجوههم؟

أيلول:

-كان الطريق مظلمًا.

هنا خرج الطبيب وأخبرنا أنَّ "علي" بدأ يفيق ويمكننا الدخول إليه.

دخلت أنا وعمه و"كمال" ابنه.

لم أستطع التوقف عن البكاء، جلست بجانبه على الفراش وقلت له:

-لا تقلق يا حبيبي ما حدث لك لم يتسبب إلا بمشكلةٍ بسيطةٍ في عدم الإنجاب. وهذا لا يهم أبدًا.

تداركني "كمال" متسائلاً:

-وكيف عرفتِ ذلك؟!

أيلول (شعرت بدوار، ما الذي تفوهت به، كم أنا حمقاء)

قلت:

-أخبرني الطبيب.

- ولماذا لم يخبرنا نحن!

- لا أعرف!

صاح كمال:

-سأبلغ الشرطة حالاً

هنا خرج "علي" عن صمته وتعبه وقال ناظرًا إليّ:

-لا تتعب أعصابك يا "كمال" وتبلغ الشرطة، أنا أعرف جيدًا من فعل ذلك بي!.

في تلك اللحظة تجمّدتُ وشعرت أنني محاطة بأكاذيبي وحيلي، وأنني أستحق كل ما سيحدث لي.

علي:

-"لـولا" قلـتِ إنَّ مـا حـدث لي بسـيط، وأنَّ الخسـائر الوحيدة هي عدم الإنجاب صحيح؟!.

أيلول:

-(لم أنطق بكلمة).

علي:

-"أيلول" كنتِ تودين معرفة الموضوع الذي خبأته عنكِ ولم يستطع عمي إخبارك به أليس كذلك؟

ثم تنهَّد وقال:

-أنا عقيم يا "أيلول" ولم أكن سأنجب أبدًا دون أن تكلفي نفسك كل هذا العناء والتخطيط.

****

عندها أدركت أنني قد خسرت "علي" للأبد، وأدركت بالنهاية أنَّ من لا يجد الحب ذلك لأنَّه ليس على استعداد لمنحه.

واعترفت داخلي أنني مذنبة، مجرمة، عاهرة، قاتلة.

وأنني مهما حاولت لن أستطيع أن أكون تلك الفتاة الفاضلة.